الشعر والشعراء

التراكيب اللفظية كالاجساد والمعاني ارواحها وكأيّن من ذي جسد مليح لاتشويه في جثمانه لكن صفاته الروحية مشوهة فهو لذلك يمقت من كل ذي طبع سليم وفطرة صحيحة

والشكل والخفة في الارواح　　املح مايعشق في الملاح

كذلك الكلام منظوما ومنثورا لاتكمل محاسنه الا بحسن معانيه، ومتانة مبانيه، ولقد جئنا بمجمل من البيان عن حالة الشعر من حيث مبانيه ومعانيه في العدد التاسع والعاشر من جريدتنا وابنّا ان شعراء الجاهلية كانوا يتصرفون باشعارهم في جميع معلوماتهم وارجأنا الكلام على بقية طبقات الشعراء الى هذا العدد. والآن نقول ان المخضرمين لا فصل (فرق) بينهم وبين الجاهليين الا بما كانوا به افزر علماً، واقلح سهماً، لما اعطاهم القرآن الكريم والحديث الشريف اللذين تقاصرت عنهما من اولئك اعناق العتاق السبّق، ووَنت دونهما خُطا الجياد القرّح، لكنهم مع قدرتهم السامية، ومعارفهم العالية، كانوا اقل نظماً من الجاهليين كان لهم شاغل من عبادة الله تعالى ونصرة دينه عن الشعر وكان اكثر شعرهم في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وفي الذب عنه وعن الاسلام واشعار حسان في ذلك مشهورة ولغيره من اكابر الصحابة اشعار تدخل في الطبقة العالية لكنها لم تشتهر واليك هذه الابيات الابيّات من قصيدة سيدنا الصديق الاكبر رضي الله تعالى عنه نسبها له سليله سيدي مصطفى

البكري صاحب ورد السحر ونسبه له غيرها خلافاً لمن قال من المؤرخين انه لم يقل الشعر قط على انه مرويّ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أما الابيات فهي

أمن طيف سلمى في البطاح الدمائث (١) أرقت وأمر في العشيرة حادث
ترى في لؤيّ فرقة لا يردها عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
ورسول أتاهم صادق فتكذبوا عليه وقالوا لست فينا بما كث
اذا ما عوناهم الى الحق ادبروا وهرّ وا هرير المحجرات اللواهث (٢)
فكم قد متنا فيهم بقرابة وترك التقى شيء لهم غير كارث (٣)
فان يرجعوا عن كفرهم لعقولهم فما طيبات الحبل مثل الخبائث
وان يركبوا طغيانهم وضلالهم فليس عذاب الله عنهم بلابث (٤)
ونحن اناس من ذؤابة غالب لنا العز منها في الفروع الاثائث (٥)
عيناً برب الراقصات عشية جراجيج تخدي في السريع الرثائث (٦)

(١) الدمث السهل اللين واصله للمكان ويقال خلق دمث جمعه دمائث (٢) الهرير مادون النباح من صوت الكلب واللواهث جمع لاهثة واللهث معروف عند العامة ويقولون لهث بالمتاة واظن ان المحجرات اناث الخيل ويحتمل ان يراديها الكلاب وليس في نص في هذا ولا ذاك والسياق لا يأبى شيئاً منهما والاقرب الاول لان من عادته الحجر وهي انثى الحبل (٣) الكارث من كرثه الغم اذا اشتد عليه (٤) اللابث المقيم اي ان العذاب لا يظل عنهم بل لابد ان يحل بهم (٥) الذؤابة الناصية وغالب جد من اجداد النبي صلعم والفروع الاثائث هي الشعور العظيمة الملتفة كنى بها عن الشرف والرفعة (٦) الراقصات هي النوق والجراجيج جمع جرجوج وهي الناقة الطويلة على وجه الارض او الشديدة او الضامرة الوقادة القلب وتخدي تسرع (الثلاثي) واخدى مشى قليلا قليلا « والسريع كامير الخرق والجلود البالية تعد على اخلاف النياق اذا دميت . والرثائث البالية والرثيث كامير الخلق المبتذل »

كاذم ظباء حول مكة عكف　　يردن حياض البئر ذات النبائث (١)
لئن لم يفيقوا عاجلاً من ضلالهم　　ولست اذا آليت قولاً بحانث (٢)
لتبتدرنهم غارة ذات مصدق (٣)　　تحرم اطهار النساء الطوامث
يغادرن قتلى تعصب الطير حولهم　　ولا ترأف الكفار رأف ابن حارث
فابلغ بني سهم لديك رسالة　　وكل كفور يلتقي الحرب باحث
فان تشعثوا عرضي على سوء رأيكم　　فاني عن اعراضكم غير شاعث (٤)

واما المولدون فقد اكثروا من النسيب والمديح والهجاء واقلوا من غيرها مع قبضهم على جميع ازمة القول ومعرفتهم بطرقه واساليبه واتساع معارفهم العلمية والادبية والمادية والمدنية ثم جرى المحدثون على آثارهم وساروا منحرفين عن محجة العربية الفصحى حتى بعدوا بها عن معاهدها وملكت العجمة عليهم ألسنتهم حتى صار امرهم الى ماعلمت ، اعرضوا عن النظر في كلام الاقدمين ، وقصروا همهم على محاكاة المعاصرين ، ولم يبق لديهم من النسيب والغزل الا تشبيه سواد عقائص الشعر باسود الحيات ، والعيون السود ببيض المرهفات ، والقدود بسمر الرماح ، والرضاب بالضرب والراح ، والثنايا بالدرر والاقاح ، والجبين بالهلال والصباح ، والخدود بالورود وشقائق النعمان ، والثدي بحقاق العاج والرمان ، الى مايلتحق بهاتا من ذكر الهجر والوصال ، والتيه والدلال ، وغير ذلك مما هو مشهور عنهم من الكلام في

(١) النبائث الازبة التي تخرج من البئر والنهر او التي حولها «٢» آليت حلفت «٣» المصدق الصدق يقال للرجل الشجاع والفرس الجواد انه لذو مصدق اي صادق الحملة وصادق الجري «٤» شعث عرضه ومن عرضه اي اتاشه ونال منه

الغراميات وربما قرنوا ذلك بذكر الوقوف على الديار واستنطاق الرسوم والآثار

واما المديح فما بقي منه الا ألفاظ يفيضونها من مكارمهم على كل ممدوح كالمجد والسعد، والسخاء والرفد، والفضل والكمال، والرفعة والجلال، والشرف والعلاء، والسناء والبهاء، والمعارف والعوارف، والفضائل والفواضل، والسماحة والرجاحة، والبلاغة والفصاحة، يجعلون الممدوح اسخى من حاتم، وان كان ابخل من مادر، ويقولون انه افصح من سحبان وائل، وان كان اعيا من باقل، ويزعمون انه اصدق من القطا وهو اكذب من مسيلمة، وانه احلم من احنف واذكى من إياس، وهو احمق من هبنقة وابلد من الذباب، واذا اخذوا في الرثاء يقدمون على ذكر هذه الاوصاف تهويلاتهم المشهورة كقولهم ان الشمس كسفت، والنجوم انكدرت، والجبال تصدعت، وعيون الدموع تفجرت، وألسنة العوالم استرجعت، وقلوب الخلائق تفطرت، وابواب الجنان فتحت، والحور في القصور تزينت، ونحو هذا مما ملته الاسماع، وسئمته الطباع، ويكاد يحيط به كل انسان

وحاصل القول في الشعر والشعراء ان العرب كانوا مندفعين الى الشعر من طبيعتهم فكانوا يتناولون بشعرهم كل ما في الطبيعة وما يتنزعه الذهن منها كالخيالات والاوهام. وان الجاهليين بلغوا به قبيل عصر النبوة الشأو البعيد والغاية التي لا وراءها بالنسبة لمعارفهم وان الاسلاميين ارتقت في اول الاسلام ملكاتهم في البلاغة على ملكات الجاهليين فكان كلامهم في المنظوم والمنثور احسن ديباجة وارصف مبنى واعلى معنى لكن لم يلبث الشعراء ان حصروا كلامهم في مواضيع قليلة (كما علمت ولما علمت) برز

فيها افراد من كل عصر وما كانوا يخرجون عنها الا احيانا . وانه جاء في القرون المتوسطة لاسيما الثالث والرابع والخامس من سلم السابقين، وخاطر المقرمين ، وناهيك بابن دريد المتوفي في أوائل القرن الرابع فلقد ضربت مقصورته بكل سهم، وطرقت كل باب، ولا تنس حكم ابي تمام وابي الطيب وفلسفة ابي العلاء. لكن طرق هؤلاء كانت عقيمة ومذاهبهم دارسة لاسيما مذهب ابي العلاء في فلسفة الافكار فانه كان فيه نسيج وحده لم يحذفيه مثال احد ولم يتل تلوه فيه احد . وان المتأخرين هبطوا بالشعر الى اسفل الدركات وان كلامهم في الاكثر خطل (فاسد فاضطرب) وعسلطة (لانظام له) وانه لايكاد يوجد المجيدولو في موضوع واحد الانادراً . كان في القرن الماضي (الثالث عشر) عبد الباقي العمري له شعر رصين متين في مدح البيت عليهم السلام والرضوان

هذا مانبه افكار الفضلاء واهل الغيرة على الآداب العربية وحدا بهممهم الى حل الشعر العربي من عُقُله واطلاقه من قيوده فارشدوا الناس الى التصرف في المعاني الجديدة والنظم في المواضيع الشريفة على ماتقتضيه حالة هذا العصر

طرق هذا التنبيه مسامع منشيء هذه الجريدة في أوائل طلبه للعلم من استاذنا العلامة الشهير الشيخ حسين افندي الجسر فجنحت النفس للعمل وكان اول نظم نظمته في ذلك قصيدة اشرت فيها الى مذاهب المتأخرين في الشعر بصيغة الانكار وشيبت ذلك بالمعاني الجديدة التي تعطيها الفنون والصناعات العصرية . القصيدة في تهنئة صاحب السعادة محمد باشا نجل الامير عبد القادر الجزائري الشهير يوم صار باورحرب لمولانا السلطان

الاعظم ايده الله تعالى وهي نحو من مئة وعشرين بيتاً نأتي على بعضها هنا على سبيل النموذج فنقول

﴿ مطلع القصيدة ﴾

نصرت دولة المهى التركيه بلحاظ قامت بها العصبية

ثم ذكرت من حرب دولة الحسان المشبهات بالمهى ان لديها عوالي القدود السمهرية وحراب السواعد وخناجر الحواجب وزدت على هذا تشبيه غدائر الشعر الملتوية اطرافها بالبنادق ثم قلت

أي حسن نرى بهذي الغواني كل عضو كآلة حربيه
مالنا نحسب الحسان ظباء ولها فتكة بنا قسوريه
ونسمي خدر الفتاة كناسا ونرى الغاب يدعي الاولويه
ونذوق الغرام عذبا وان كا ن عذابا لدى النفوس الابيه
يارقيقا لذات خصر رقيق برئت منك ذمة المريه
قد أذلتك نسوة يتبرّ ج ن دلالاً تبرّج الجاهليه
تلك سلوى ان التخيل يدعو رقة العقل رقة طبيعيه

﴿ ومنها ﴾

كم تناجي الدجى وما انت ممن يفتري عن ضلوعه المفريّه
وتبيح الرياح كل غدوّ ورواح شؤونك السريه
وتصيخ الاذان تسترق السم ع جوابا يأتي من العامريه
قد أقامت لك الاماني سلكا لاداه الرسائل البرقيه
ولكم انت في عتاب وشكوى لحبيب ديارُه مقصيه
ان تأى يدنه الخيال من الثغ ثيل في آلة له رصديه

وعلام الوقوف حول رسوم　　دارسات ما ثم منها بقيه
تمطر السحب من عيونك ماثا　　ر بخارا عن نارك القلبيه
بحر دمع وفلك جسمك فيه　　سيرته أنفاسك الصدريه

﴿ ومنها ﴾

خل عنك التمويه بالفيد واسلم　　انما الحب لذة وهميه
قد أقامت على الحقائق سترا　　فاستترت نجومها الدريه
حجبت عنك شمسها بسحاب　　ظله قام صورة شمسيه

ومنها في اثبات ان الحب اختياري في مبدأه

انت اشعلت نار قلبك بالتحـ　　ـديق نحو الحدائق الحسنيه
صادر سهم الحبيب طرفك منها　　بانعكاس الاشعة النوريه
فسرى من زجاجة العين للقلـ　　ـب شعاع كجذوة ناريه

ومنها في مدح مولانا السلطان المعظم

جر ذيلا عن المجرة اذجا　　وزهام الجوزاء بالفوقيه
ماعلاه نبتون والعقل كم كذ　　ذب حكم المشاعر الحسيه
نافذ الرأي مسقب كل ناء　　من عويص المشاكل الفكريه
يومض الذهن من تلاق لايجا　　بية الحكم فيه والسليبه
فكأن السداد والحزم فيه　　برلمان اقيم او جمعيه
حرر الملك بعد رق فقرت　　فيه عين الاسلام والحريه
ايد الملة الحنيفية السمـ　　ـحة فيه والشرعة الحنفيه
فهو والملك اذ تولى عليه　　قالت نعمى وولت رزيه
شبح صافته أم لهيم　　فسرت فيه قوة روحيه

فاباح العمران سر الترقي لنفوس الجمعية البشريه
فأفاضت ماء الوراعة عين ايقظتها الصنائع العمليه
وأقامت لها التجارة سوقا احرزت في مجالها السبقيه
وبغيث العلوم اينع روض صوحته البوارح الدهريه
فيه شمنا شمس الهدى وشممنا منه عرف المعارف الحكميه
ووجدنا جسم الوجود صحيحا بارتقاء الصناعة الطبيه
ورياضيّ فكره ظل يبدي من زوايا الفنون كل خبيه
وتدلت زهر النجوم الينا بل عرجنا للقبة الفلكيه
هل كعبد الحميد يلقى مليك اوتولى من عهد آل أميه
عمريّ عدالة علوي سطوة والسمات عثمانيه
سار في نهج ملكه وكلاه مثلوا نور عدله للرعيه
يا لشمس نظامها فيه دارت واستنارت سيارة بشريه

ومنها بعد ذكر وفود اصناف الناس على المابين حتى الملوك وكان ذلك عقب زيارة امبراطور المانيا الاستانه

فكأنّ المابين والناس ماي ن مجدّ سميا وذي بطنيه
كعبة والحجيج من كل فج يتحيها او مركز الجاذبيه

ومنها في مدح الامير وهو ختامها

لم أقل اني خصيص علاه فهي دعوى بمدحتي ضمنيه
وكفاني قرب القرابة أنا بوأتنا البنوّة النسبويه
وبكلي له تسلسل ود دار فيه كالدورة الدمويه
ياعريقا بالمكرمات فليست هبة تستردّ او عاريه

هاك بكراً جاءت بمبتكرات　　من معاني جناتها معنويه
أشربت رقة الحضارة لكن　　رويت بالجزاله البدويه
اعجبت بالمديح فيك فقامت　　تتهادى كانها حوريه
رامت الحلي في الثناء فلبث　　يا عقود الكواكب الدريه
ولكم قد تقلدت بوسام　　من مزايا الامامة القدسيه
فبدت تنتحي علاك وناهيـ　　ـك بباد اوفى على المدنيه
تستميح الرضى لكي تغتدي را　　ضية عند ربها مرضيه

بهتان عظيم (*

رمى بعض السفهاء سهما فأصاب أمته وملته فحملنا ذلك على كتابة التذكرة ورأينا ان نفتتحها بنبذة بليغة جاءت في العروة الوثقى الشهيرة في اخطارها حتى كأنها وضعت لها فنقول :

«أسف يصهر الجسم، ويذيب الفؤاد، وحسرة تقلق الاكباد، على قبيل من أمة، أو شخص منها ذي همة، يستعين الله في عمل ينقذ أمته من ضعفه، أو يرجع اليها بمنفعه ، ثم يوجد له في وجهة عمله من تلك الامة من ينجم كقرن المعز ليقرأ عين العمل الفاضل فيقطع عليه اسباب العمل ويعرقله عن القصد ليكسب مدحة باطلة أو منفعة عاجلة وانما مثل من يكون على هذه الصفة فى الامة كمرض السكتة في البدن او الصرع في الرأس أو الخبل في العقل او الشجي في الحلق أو القذى في العين . هؤلاء هم الذين

(*) فاتحة العدد الثاني عشر الذي صدر في ١٨ المحرم سنة ١٣١٦